البواب، وكان يعلِّم أولاد الخليفة الخط: محمداً ولي العهد، وعلياً، وخلف شيخه أبا الحسن ابن الخل في مدرسته بباب العامة التي بناها كمال الدين ابن طلحة، وأضيف إليه تدريس][1] النِّظامية، وولي رباط الإخلاطية [وبني على جانبه دار، فسكنها][2]، وكان زاهداً عابداً ورعاً، [وكان الخليفة يرى له، ويحسن الظن به، وكان يوماً برباط الإخلاطية][1] خرج من داره في ذي القَعْدة، ودخل الرِّباط ليصلي بهم العَصْر، فلما وقف في المحراب عرضت [له][1] سُعْلة، فتغيَّر، فحمل إلى داره، فتوفي وله نيفٌ وثمانون سنة، وحضر جنازته جميع أرباب الدولة، لم يتخلَّف سوى الخليفة، ومن محبة الخليفة له وحُسْن ظنه به، دفنه في [أعز[3] الأماكن عنده، وهي تربة زوجته] الإخلاطية، وجاء [الخليفة][2] آخر النهار، فصلى عليه، [سمع أبا القاسم بن الحُصَيْن، وقاضي المارستان، وأبا الحسن ابن الخل وغيرهم][2].

موسك بن جكو[4]

[والد الأمير عماد الدين داود، وموسك ابن][1] خال السُّلْطان صلاح الدين الذي حفظ القرآن وسمع الحديث، وكان مُحْسناً إلى النَّاس، يقضي حوائجهم، ويتلطَّف بهم، وكان ملازماً للسُّلْطان في غزواته، لم يتخلَّف عنه في شيءٍ منها، وكان دَيِّناً صالحاً جَوَاداً، مَرِضَ بمرج عكا مرضاً شديداً، فأمره السُّلْطان أن يمضي إلى دمشق يتطبَّب، فجاء إلى دمشق، فتوفي بها، ودفن بقاسيون، [رحمة الله عليه، وكان صالحاً ثقة][2].

السنة السَّادسة والثمانون وخمس مئة

في سابع المحرَّم دخل ألب رسلان ابن السلطان طغريل إلى بغداد، وهو صبيٌّ صغير، وعليه كَفَن، وبيده سيف مشهور يطلب عفو الخليفة، وجاء فنزل باب النوبي، وباس العتبة، فبكى أهل بغداد، ورَقَّ له الخليفة، وأنزله دار ابن العَطَّار مقابل

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) في (ح): ودفنه في تربة الإخلاطية، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٤) له ترجمة في «كتاب «الروضتين»: ٤/ ١٠٨ .

المخزن، وأكرمه، وأحسن نُزُله، وعفا عن جرائم أبيه وما فعل بابنِ يونس، واستدعاه إلى باب الحجرة، وخلع عليه خِلْعة السَّلْطنة، وطوَّقه بطوقٍ من ذهب، واجتمع بولي العهد أبي نَصْر محمد.

وفيها تسلَّم الخليفة قلعة الحديثة بعد حصار طويل.

وفيها بنى الخليفة دار الفَلَك، ورتَّب فيها ابنة السيد العلوي، ويقال لها: بنت الجدود.

وأما حديث السُّلْطان فإنَّ هذه السنة دخلت وهو مرابطٌ على الخَرُّوبة، وفي ربيع الآخر تسلَّم شقيف أرنون بالأمان بعد الحصار الطويل، وضيَّق على صاحبه أرناط بدمشق، فسلَّمه، ومضى إلى صور.

وفي هذا الشهر قدمتِ العساكرُ الإسلامية على السُّلْطان، وفيهم الملك الظَّاهر صاحب حلب، وأسد الدين شيركوه صاحب حمص، وسابق الدين عثمان صاحب شَيْزَر، وعز الدين إبراهيم بن المقدَّم، وغيرهم، فتقدَّم السُّلْطان إلى تل كيسان، وعَزَمَ على لقاء الفرنج، وقدم رسول الخليفة فخر الدين نقيب العلويين بمشهد باب التبن ومعه خمسة أحمال نِفْط، وتوقيع بعشرين ألف دينار تقترض من التجار على [ذمة][1] الخليفة، فشقَّ على السُّلْطان، وقال: أنا في يوم واحدٍ أُخرج مثل هذا وأضعافه، وما أنا بمضطر. ورَدَّ عليه الجميع، فأشار عليه بعضُ أصحابه بأخذ النفط للغَزَاة، [فأخذه][1] ورَدَّ التوقيع، وقال: يرحم الله العاضد، وصل إليَّ منه في عشرين يوماً مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار، ومثلها عروض.

حديث حريق الأبراج:

كان الفرنج قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب والحديد، وألبسوها جلود البقر المسقاة بالخَلِّ والخمر لئلا تعمل فيها النار، وطمُّوا خندق عكا، وسحبوا الأبراج على العَجَل إلى السُّور، فأقبلت أمثالَ الجبال، فأشرفت على البلد، وفي كل برج خمس مئة مقاتل، فأيس المسلمون من البلد وقد حِيْلَ بينهم وبين السُّلْطان، وركب السُّلْطان

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

والعساكر واجتهدوا في الوصول إلى البلد، فلم يقدروا، ورماهم الزَّرَّاقون الذين في البلد بالنِّفْط، فلم يحترق منها شيءٌ، وكان بعكا شابٌّ دمشقيٌّ، يقال له ابن النَّحَّاس، ليس له في الدِّيوان اسم، وكان عارفاً بالنفط والحريق، فهيَّأ ثلاث قدور، وقال لقراقوش: انصبْ لي منجنيقاً، فانتهره، وقال: قد عَجَزَ الصُّنَّاع عن ذلك، فمن أنت؟ فقال: قد عملتُ قدوراً لله تعالى، وما أُريد منكم شيئاً، وما يضركم أَنْ أرميَ بها في سبيل الله، فإن نفعت، وإلا فاحسبني واحداً منهم. فقال قَرَاقوش: ما يَضُرُّنا ذلك. ثم نُصِبَ له المنجنيق، فرمى قدرة واحدة في بُرْج، فاحترقَ بمن فيه، ثم فَعَلَ ذلك بالثَّاني والثَّالث، فكبَّر المسلمون، وسَمِعَ السُّلْطان، فكبَّر والعساكر، وفرح قَرَاقوش والأُمراء، وطَمُّوه بالخِلَع والأموال، فلم يأخذ منها شيئاً، وقال: أنا فعلتُ هذا لله تعالى. وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد اجتمعتُ بابنِ النحاس في حلب سنةَ ثلاثٍ وست مئة، وحكى لي صورةَ الحريق، وكان يحضُرُ مجالسي، فطابَ قلبه يوماً، فقال للنَّاس: اشهدوا أن نصفَ ثوابي في حريقِ الأبراج لفلانٍ. عني.

وبعد يومين من حريق الأبراج وَصَلَ عماد الدين زَنْكي صاحب سِنْجار إلى خِدْمة السُّلْطان، فالتقاه وتعانقا، وساق به السُّلْطان إلى خيمته، فترجَّل عمادُ الدين قبل السُّلْطان، ومشى في خدمته بمقدار ما لَبِسَ السُّلْطان سرموزته، ودخلا الخيمة، وقدَّم له السُّلْطان من التُّحَف والطُّرَف ما لم يقدِّم مثله، وبَسَطَ له الثياب الأطلس، فمشى عليها، وأنزله في طَرَفِ المَيْسرة.

حديثُ ملك الألمان:

وفيها قَطَعَ الألمان خليج القُسْطنطينية إلى بلاد قليج رسلان في ست مئة ألف جاؤوا من إفرنجة، فخافَ منهم ملكُ القُسْطنطينية، فقالوا: لا تخفْ، نحن ما جئنا إلا لنخلص القُدْس وصليب الصَّلبوت، ونملك بلادَ المسلمين. فلما دخلوا بلاد قليج رسلان لم يكن له بهم طاقة، فاحتاج إلى مسالمتهم، وكَتَبَ إلى السُّلْطان يعتذر بالعَجْز عنهم، وساروا طالبين الشَّام، ووقع فيهم الوباء وفي دوابهم، فدفنوا كثيراً من سلاحهم ظنّاً منهم أنهم إذا عادوا أخذوه، فهلكوا، وأخذ المسلمون ما دفنوه، ووصلوا إلى نهر

طَرَسُوس، فتحصَّن منهم ابن ليون بقلاعه لأنه أرمني وهم فرنج، فأراد الملك أن يسبح في نهر طَرَسُوس، وكان ماؤه بارداً، فنهوه وقالوا: لا تفعل، فأنت متعوب، فقال: لابُدَّ. فسبح فيه، فأخذته الحُمَّى، فأقاموا على النهر بسببه، فأوصى إلى ولده الذي كان في صحبته، ومات، فسلقوه في خل، وجعلوا عظامه في كيس ليدفنوها في القُدْس، ولما مات اختلفوا على ولده لأنه كان له آخر أكبر منه، وكانوا يميلون إليه، فتأخَّر عنه أكثرهم، ودخل أنطاكية في جيش قليل، وسأل الإبرنس أن يخلِيَ له القلعة ليضع أمواله وأثقاله فيها، [وكان في الإبرنس خبرة][1]، فأجابه إلى ذلك ظنًّا منه أنه لا يتفق عوده إليها، وكان كما ظن ما عاد، وأخذ البرنس الجميع، ثم ساروا إلى طرابُلُس، وجعل أهلُ الجبالِ يقتلونهم غِيْلَةً وينهبونهم، فما وصلوا طرابُلُس إلا في نفرٍ يسير، فأقاموا أياماً، وساروا إلى عكا، فلقيهم الفرنج، واستبشروا بهم، ووصل رسول صاحب القُسْطنطينية يعتذر إلى السُّلْطان عن الروم، وكان صديقَ السُّلْطان، [وأنه خطب للخليفة والسلطان بالقسطنطينية.

وانقطعت أخبار عكا عن السلطان،][1]، فندب أقواماً للسِّباحة، وأعطاهم المال في أوساطهم، والطيور في أعبابهم، فترد الأخبار، ثم احترز الفرنج بعد ذلك بشِباكٍ نصبوها في الميناء، فإذا جاء سابحٌ وقع فيها، فامتنع الناس، وبعث قراقوش يشكو قِلَّة الميرة، فرتَّب لهم السُّلْطان بُطْسة كبيرة، وجعل فيها نصارى من أهل بيروت كانوا قد أسلموا، فقال: ارفعوا الصُّلْبان على البُطْسة كأنكم قاصدين الفرنج، ففعلوا ذلك، فخرج إليهم الفرنج في الشَّواني، وقالوا: نراكم قاصدين البلد؟ فقالوا: وما أخذتموه بعد؟! قالوا: لا. قالوا: وراءنا بُطْسة أخرى ردُّوها عن البلد. فذهبوا عنهم، فردُّوا القُلوع إلى البلد، ودخلوا الميناء، وكبَّر المسلمون، وامتاروا أياماً.

وأما ابنُ ملك الألمان، فإنَّه أعدَّ دبابة عظيمة يدخل تحتها ألوفٌ من النَّاس، ولها رأسٌ عظيم برقبة طويلة، إذا نطحتِ السُّور دخلت فيه وهَدَمَتْه، وعمل بطسة لها خرطوم عظيم طويل، إذا أرادوا قلبه على السُّور انقلب بالحركات، وزحفوا إلى برج الذُّبَّان، فأحرق المسلمون جميع ذلك، وطلبتِ العساكر الشَّرقية العَود إلى بلادها، فقال

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

السُّلْطان: في هذه الحالة اصبروا إلى زمن الشتاء. فأما عمادُ الدِّين صاحب سنجار فأقام، وأما سنجر صاحب الجزيرة، فأصرَّ على الرَّحيل، ودخل على السُّلْطان، فقبَّل يده، وسار من ساعته، فكَتَبَ السُّلْطان وراءه كتاباً يقول في أوله: [من مجزوء الكامل]

مَنْ ضاع مثلي مِنْ يديـ ـه فليتَ شِعْري ما استفادا

إنك انتميتَ إلينا، فحميناك من أهلك، فَبَسَطْتَ يدَك في الأموال والدِّماء والأعراض، ونهيناك، فلم تنته، وأتيتنا بعسكرٍ قد علمه النَّاس، وقلقت هذا القلق ونحن نقاتل العدو، فأبصرْ من تنتمي إليه غيري، فما بقي لي إلى جانبك التفات. فقرأ الكتاب ولم يلتفت، وسار، فلقيه تقيُّ الدِّين عند عقبة فيق، فقال له: إلى أين؟ فأخبره الخبر، فقال: ارجع. فقال: ما أرجع. وكان تقيُّ الدِّين مِقْداماً، فقال له: ارجع يا صبي وإلا رجعتَ مقهوراً. فرجع، وسأل تقيُّ الدين السُّلْطان، فعفا عنه.

وفيها كتب السُّلْطان إلى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن أمير المغرب كتاباً يستنجد به على يد شمس الدين ابن مُنْقذ، وعنوانه:

إلى أمير المُسْلمين محل التُّقى الظَّاهر، ومقر حزب الله الظَّاهر. وفي أوله: الفقير إلى الله يوسف بن أيوب.

الحمد لله الذي استعمل على المِلَّة الحنيفيَّة من استعمر الأرض، وأغنى من أهلها من سأله القَرْض، وأجزى من أجرى على يديه النَّافلة والفَرْض، وزيَّن سماء المِلَّة بدراري الذَّراري التي بعضُها من بعض.

وذكر كتاباً طويلاً من إنشاء الفاضل، يستنجده ويسأله أن يقطع عنه مادَّة البحر، وعاد ابنُ منقذ في سنة ثمانٍ وثمانين وخمس مئة بغير فائدة، لأنه لم يخاطبه فيه بإمرة المؤمنين، وبَعَثَ له هدية حقيرة.

وأما ابنُ منقذ، فإنَّه أحسن إليه لا لأجل صلاح الدين، بل لبيته وفَضْله، ومدحه ابنُ منقذ بأبياتٍ نذكرها في ترجمة يعقوب في سنة خمسٍ وتسعين وخمس مئة.

ودخل فصلُ الشِّتاء، فأعطى السُّلْطان العساكر دستوراً، وأقام في نفرٍ يسير.

وفي ذي الحجة مات ابنُ ملك الألمان، واسْتُشْهد بعكا من المسلمين جماعةٌ، منهم جمال الدين محمد بن أرككز، خرج في شاني يقاتل، فأحاطت به مراكبُ الفرنج، وعرضوا عليه الأمان، فقال: ما أضع يدي إلا في يد مقدَّمكم الكبير. فجاء إليه المقدَّم الكبير، فأخذ بيده وعانقه، وألقى نفسه وإياه في البحر، فغرقا.

وفيها: تسلَّم السُّلْطان [صلاح الدين][1] الشوبك بعد الحصار الشديد بالأمان.

وفيها ملك سيف الإسلام صنعاء، وأعطاها لولده شمس الملوك الذي ادَّعى الخلافة.

وحج بالنَّاس من بغداد طاشْتِكِين.

وفيها توفي

سعيد بن يحيى[2]

أبو المعالي ابن الدُّبَيْثي، ولد سنة سبعٍ وعشرين وخمس مئة، وقال: أنشدني عبد الله بن الحسن بن شبيب لنفسه: [من الطويل]

وأغيدَ لم تسمحْ لنا بوصاله ... يدُ الدَّهْرِ حتى دَبَّ في عاجه النَّمْلُ
تمنيتُ لما اخْتَطَّ فقدانَ ناظري ... ولم أرَ إنساناً تمنَّى العمى قَبْلُ
ليبقى على مرِّ الزَّمانِ خيالُه ... حيالي وفي عَيْني لمنظرِهِ شَكْلُ

عبد الرَّشيد بن عبد الرَّزَّاق الكرجي الصُّوفي[3]

كان يتفقَّه ببغداد بدار الذَّهب، وكان وَرِعاً عاملاً عابداً، وكان ببغداد رجلٌ يقال له: النَّفيس الصُّوفي، يضحك منه ويسخر به، وكان يدخل على الخليفة، فدخل يوماً مدرسة دار الذهب، فجعل يتمسخر، فقال له الكرجي: اتّقِ الله، نحن نبحث في العِلْم وأنت تَهْزِل! ما هذا موضعه. فدخل على الخليفة، وبكى بين يديه، وقال: ضربني الكرجي وعَيَّرني. فغضِبَ الخليفة وأمر بصَلْبه، فأُخرج وعليه ثوب أزرق [من ثياب

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج، الواسطي المعروف بابن الدبيثي، له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ١٢٤، و«المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ٩٠.

(٣) ذكر قصته هذه نقلاً عن «مرآة الزمان» أبو شامة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٩٩-١٠٠.

الصوفية][1] إلى الرحبة، ونصبوا له خشبة [ليصلبوه][1]، فقال: دعوني أُصلِّي ركعتين. فصلَّى فصلبوه، فجاء خادمٌ من عند الخليفة، فقال: لا تصلبوه. وقد مات، فلعن النَّاس النفيس [الصُّوفي][1]، وبقي أياماً لا يتجاسر أَنْ يظهر ببغداد. ورأى الكرجيَّ بعضُ الصَّالحين في المنام، فقال: ما فَعَلَ الله بك؟ فقال: أوقفني الحقُّ بين يديه، فقلت: يا إلهي، رضيتَ بما جرى عليَّ؟ فقال: أَوَما سَمِعْتَ ما قلتُ في كتابي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٦٩] الآية.

علي بن محمد بن علي[2]

أبو الحسن، البَرَانْدِسي.

ولد سنة ثمانين وأربع مئة، وقرأ القرآن، وتفقَّه على مذهب أحمد، رحمة الله عليه، ودرَّس بمدرسة الوزير ابن هُبيرة بباب البَصْرة، وانتفع به خلْقٌ كثير، وكانت وفاته في ربيع الأول وقد بلغ مئة سنة، ودفن بمقبرة جامع المنصور، وكان زاهداً ورعاً، ثقة.

قزل بن إلدكز أتابك[3]

صاحب العراق، وأخو البهلوان، كان قد استولى على أَذْربيجان وغيرها، وهو الذي حَجَرَ على طغريل السّلجوقي، وكان فاسقاً فاتكاً، نام ليلة وهو سكران فأصبح مذبوحاً، وقيل: قتلته خاتون زوجته.

مسعود بن علي بن عُبيد الله[4]

أبو الفَضْل ابن نادر، الصَّفَّار، الأديب الفاضل.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م).

(٢) له ترجمة في «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٤/ ٢٤ ، و«التكملة لوفيات النقلة» للمنذري: ١/ ١٣١ـ١٣٢ ، «مشيخة النعال»: ٩٥ـ٩٦ ، «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٣٦ ، «ذيل طبقات الحنابلة»: ١/ ٣٦٦ـ٣٦٨ ، «المقصد الأرشد»: ٢/ ٢٥٦ـ٢٥٨ ، «شذرات الذهب»: ٦/ ٤٧٠ ، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ٣٠٠ـ٣٠١ .

وبراندس: قرية من قرى بغداد.

(٣) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ١٩٧ـ١٩٨ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٢٦٢ ، وفيهما وفاته سنة ٥٨٧هـ.

(٤) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٥٩ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ١٢٨ ، و«مشيخة النعال»: ٩٧ـ٩٨ ، و«العبر» للذهبي: ٤/ ٢٦٠ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١١١ ، و«توضيح المشتبه»: ١/ ٦٥٨ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٨٧ .

ولد سنة خمس عشرة، وبَرَعَ في الأدب، وكَتَبَ خطًّا حسناً نحواً من مئة ربعة ومُصْحف [(١)وأخذ اللغة على ابن الجواليقي وغيره، أنشدنا عبد الرحمن بن أبي حامد الحربي، قال: أنشدني ابن نادر لنفسه هذه الأبيات]: [من الطويل]

تولَّوْا فأولوا الجسمَ من بعدهم ضَناً وحرّاً شديداً في الحشا يتزايدُ
وزاد بلائي بالذين أُحِبُّهمْ وللنَّاس فيما يذهبون مقاصِدُ

[سمع قاضي المارستان وغيره، وكان ثقةً، وتوفي في المحرم، ودفن بباب حرب](٢).

يوسف بن علي بن بكتكين(٣)

زين الدين، صاحب إربل، [وهو أخو مظفر الدين بن زين الدين، كان عند السلطان في هذه السنة على الخروبة، فمرض](٤) في رمضان عند السلطان، فارتحل من الخَرُّوبة إلى النَّاصرة، فأقام يمرِّض نفسه، وكان عنده أخوه مظفر الدين يمرضه، فيقال: إنه سقاه سمًّا فمات، [وظهرت على مظفر الدين أمارات ذلك](٥) ولم يكترث لموته، ولا تأسَّف عليه.

قال العماد: أتينا مظفر الدين نعزِّيه، ظنًّا منا أنه قد حزن عليه حُزْنَ الأخ على أخيه، فكأنا جِئْنا نهنيه، وإذا به مشغولٌ عن العزاء بحيازة أمواله وأسبابه، والقَبْض على عُمَّاله وكُتَّابه، ثم أرسل إلى السُّلْطان يطلب منه إربْل، وينزل عن حَرَّان والرُّها، فأجابه إلى ذلك، وسأله كتاباً إلى صاحب المَوْصل في هذا المعنى، فكتب: قد أحاط العِلْم بانتقال زين الدين إلى جوار الله تعالى، ومقرِّ رحمته، مجاهداً في سبيله، شاكراً

(١) في (ح): وكتب خطاً حسناً نحواً من مئة ربعة ومصحف، وتوفي في المحرم، ودفن بباب حرب، وكان ثقة، ومن شعره، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٢) ما بين حاصرتين من (م).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ٥٦ـ٥٧ ، و«الروضتين»: ٤/ ١٦٨ـ١٦٩ ، و«وفيات الأعيان»: ٤/ ١١٥ (ضمن ترجمة أخيه مظفر الدين)، و«العبر» للذهبي ٤/ ٢٦٠ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢٩/ ٢٦١ـ٢٦٢ ، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١١١ـ١١٢ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ٢٨٨ .

(٤) في (ح): زين الدين صاحب إربل، مرض في رمضان، والمثبت ما بين حاصرتين من (م).

(٥) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

لنعمته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النساء: ١٠٠] الآية. فما أفجعَ القلوبَ بمصابه، وما أنكى في النفوس [فلول][1] شَبَا شبابه، ولقد كانت الهِمَمُ متوفِّرة على تربيته، وإعلاء درجته، ولكن استأثر الله به قبل ظهور حُسْن الآثار في إيثاره، وبُلي بَدْرُ تَمِّه بسِراره، ولا خفاء أَنَّ إربْل من إنعام البيت الكريم الأتابكي على البيت الزَّيْني منذ سبعين عاماً، لم يحِلُّوا لعقد إنعامهم بها نظاماً، وما رأى الخادمُ أن يخرجَ هذا الموضع منهم، ولا يُصْدَف به عنهم، والأَجلُّ مُظَفَّر الدين كبيرُ البيت وحاميه، والمقدَّم في الولاية بمقتضى وصية أبيه، قد أُنهض ليسدَّ مسَدَّ أخيه.

وكان السُّلْطان لما بلغه موت زين الدين حزن عليه لمكان عِفَّته وشبابه وغُرْبته، وكان تقيُّ الدين عمر عند السُّلْطان، فسأله إضافةَ حَرَّان والرُّها، وما كان بيد زين الدين إلى يده مع حماة وسلمية واللاذقية وجَبَلَة وسُمَيْساط وديار بكر وميَّافارقين، فأعطاه ما طلب، وزاده جُمْلين والمُوَزَّر وسَرُوج ورأس عين، فبعث نوَّابه إليها.

السنة السَّابعة والثمانون وخمس مئة

في صفر سار تقيُّ الدِّين إلى حَرَّان والرُّها والبلاد التي أقطعها، وشَرَطَ عليه السُّلْطان أن يعود عاجلاً، فلما حصل هناك اشرأبتْ نَفْسُه إلى أخذِ البلاد الشَّرْقية والمَوْصل وخِلاط وجميع البلاد، وعَلِمَ صاحبُ خلاط والمَوْصل ومارِدِين وآمِد والروم، فنفروا عنه، وتقاعدوا عن نُصْرة السُّلْطان، وتعاهدوا أن لا ينجدوه، وكتبوا إلى الخليفة، فساعدهم خوفاً من تقيِّ الدين، وبَعَثَ الخليفةُ إلى بَكْتَمُر خِلَعَ السَّلْطنة، وخيلاً، وتُحَفاً وسلاحاً يساوي خمسين ألف دينار، وعيناً ثلاث مئة ألف دينار مع أزغش مملوك الخليفة صاحب دَقُوقا، وبلغ السُّلْطان، فقامت عليه القيامة، وجمع الأُمراء، وقال: يا قوم، نحن في هذه الشِّدَّة والبلاء، والمسلمون في خُطَّة الهلاك، والخليفة لا يُنفِذ إلينا دِرْهماً، ويحيلنا على التُّجَّار، وينفذ إلى بَكْتَمُر هذا المبلغ؟! ما أثار هذا علينا إلا تقي الدِّين، والله إني لخائفٌ عليه[2]، ويقال: إنه دعا عليه، وقال: لا يفلح بعدها. فمات تقيُّ الدين في رمضان، فكان

(١) زيادة من «كتاب «الروضتين»: ٤/ ١٧٠ .

(٢) كذا في (ح)، ولعلها: لحانق عليه، والله أعلم.